بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى

البيان العلمي للعقيدة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة والأخوات! هذه محاضرات متسلسلة تهدف إلى تثبيت العقيدة الإسلامية عن طريق العلم؛ وهو الطريق الذي أقام الله سبحانه وتعالى دينه وشرعه في نهايته، ولا بد من البدء بمقدمة هامة قبل الدخول في لب موضوعات العقيدة. نطرح بين يدي موضوعنا السؤال التالي: **هل الدين يفرض نفسه على الإنسان عن طريق مستقل عن العلم؟**.

الجواب: إذا تكلمنا عن الأديان الأخرى بقطع النظر عن الإسلام فمن الحق أن نقول: إن الأديان المختلفة مهما تنوعت- بمعزل عن الإسلام طبعاً- تسلك إلى نفس الإنسان طريقاً مبتعداً عن العلم. ولكن إذا كنا نتكلم عن الإسلام فإن **الإسلام نهاية في طريق العلم وثمرة من أجلِّ ثمرات العلم**؛ بمعنى أن الإنسان لو أراد أن يتعامل مع المعرفة والعلم بشكل دقيق وواصل رحلته هذه فلا بد أن يجد نفسه وجهاً لوجه في آخر الطريق أمام ضرورة الإيمان بالله عز وجل؛ ومن ثم أمام ضرورة الانصياع لشرع الله سبحانه وتعالى. إذاً فالإسلام حقيقة كامنة في آخر مراحل العلم؛ بل هو ثمرة من أجلِّ ثمرات العلم.

وما هو الإسلام أيها الإخوة والأخوات؟. **الإسلام في مجموعه باختصار: هو الطريقة المثلى لتعامل الإنسان مع نفسه ومع الكون والحياة**؛ كيف يتعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، وكيف يتعامل مع الكون الذي يحيط به، وكيف يتعامل مع الحياة. الإسلام هو الذي يعرّف بالطريق الأمثل للتعامل مع هذه العناصر الثلاثة. وما هو الإنسان؟ **الإنسان: مكون من ثلاثة عناصر**؛ مكون من هذا **القفص الجسدي**، ومكون من **روح**؛ وهو سر لا يمكن أن يدركه غير الله عز وجل، هبط إلى هذا القفص من الملأ الأعلى، وهو السر الذي إذا اتجه إلى الدماغ سمي عقلاً وإدراكاً؛ وإذا تغلغل في الخلايا سمي إحساساً

وشعوراً؛ وإذا انعكس على العضلة القلبية سمي عواطف ووجداناً، العنصر الثالث؛ هو **الغريزة النفسية** التي تشكل قاسماً مشتركاً بين الإنسان والحيوانات. هذا هو الإنسان كائن معقد. ولكي يستطيع الإنسان أن يتعامل مع الكون ومع سائر إخوانه على نحو سليم لا بد أن يقوم هنالك تنسيق بين الروح العلوية التي هبطت من الملأ الأعلى إلى الجسد وبين هذه الغريزة الشهوانية. من الذي يستطيع أن يعقد صلحاً بينهما ؟. الإسلام. فلو أن الإنسان جنح عن الإسلام لكان لابد أن يصل إلى إحدى نتيجتين: إما أن تستولي النفس بغرائزها وتضمر الروح، وإما أن تستولي الروح بقوتها وتضمر النفس وتصبح أمراً مشلولاً في كيان الإنسان. ولكن لا ذلك الطريق يسعد الإنسان؛ ولا هذا. ذلك إفراط وهذا تفريط. **الإسلام بكل ما شرع يعقد صلحاً بين الروح وبين النفس**؛ بحيث يستطيع الإنسان أن ينال حُظوته من الروح وخصائصها ومن الغرائز ومبتغياتها، هذه حقيقة علمية. وعندما يعلمنا الإسلام كيفية إسعاد الإنسان نفسه لا بد أن يسلك بنا إلى ذلك الطريق العلمي، وهذا كله تأكيد للمعنى الذي قلته في بدء حديثي: وهو أن الإسلام لا يمكن أن يكون سائراً على خط مختلف أو موازٍ للعلم؛ ولا نقول: إن الإسلام هو العلم، لكن **الإسلام نهاية في طريق العلم؛ فمن سلك طريق العلم لا بد أن يصل إلى الإسلام**. بعد هذا نقول: ترى هل الرحلة العلمية التي يسلكها الإنسان حقاً توصل إلى الإسلام ؟ ما الذي يدرينا أننا نسلك سبيلاً علمياً أو أننا نسلك سبيلاً غوغائياً ؟ كثيرون هم الخرافيون الذين يتبنون كثيراً من الأساطير باسم العلم، وكثير من الناس يخطئون في فهم الإسلام باسم العلم؛ فلا بد من ميزان نلجأ إليه لنعلم أننا عندما نسير على طريق علمي لا نتنكب عنه وأننا مطمئنون أننا نسير مع العلم. من أجل هذا لا بد أن نتعرف على ميزان هو الذي يسمى: **بمنهج المعرفة**. ما هو الميزان الذي يوضح لنا أن هذا التسيار منضبط بقواعد العلم ؟.

سنتحدث باختصار جداً هنا عن منهج المعرفة فيما أجمع عليه العلماء؛ علماء المسلمين طبعاً، وفيمَ انصاع له علماء آخرون أيضاً. وإن كان للغربيين منهج يستقل عنه في أمور أخرى قد نشير إليها. هذا المنهج هو الذي يكشف لنا السبيل الأمثل ونحن نخطو خطواتنا العلمية من أجل معرفة الإسلام. **منهج المعرفة هذا يتلخص بكلمتين** سجلهما العلماء: **(إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل)**. يعني أن الإنسان الذي يريد أن يتعلم شيئاً ما؛ الشيء الذي يريد أن يتعلمه إما أن يكون

خبراً نُقِلَ إليه فهو يريد أن يتأكد من صحة روايته؛ وإما أن يكون هذا الشيء دعوى علمية فهو يريد أن يتأكد من صدق واقعيته. العلوم كلها لا تخرج عن هذين القسمين؛ فإذا كان الشيء الذي أريد أن أعرفه وأعلم قيمته العلمية خبراً كالذي يقول لي: إن حادثة وقعت بالأمس في جهة ما، إن الثورة الفرنسية وقعت قبل ما يقارب قرنين من الزمن، إن حادثة وقعت في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى غزوة بدر، إن هناك بناء في أقصى الهند يسمى تاج محل؛ هذه كلها أخبار. كيف أستطيع أن أعلم أن هذه الأخبار صحيحة أو غير صحيحة ؟. وضع العلماء لنا في هذا قانوناً.

يختصر هذا القانون بضوابط الإسناد؛ ننظر إلى السند الذي بين هذا الذي ينقل لنا هذا الخبر وبين مصدره الأول، فإذا كانت الصلة مستمرة غير منقطعة وإذا كان الناقلون لهذا الخبر ثقات وعدول وضابطين إلى المصدر دون انقطاع – كما يقول العلماء – ولا شذوذ ولا علة فهذا الخبر عندئذ نسميه صحيحاً. ثم ننظر: فإذا كان الناقلون له أفراداً قليلين خمسة عن خمسة أو ثلاثة عن ثلاثة فنحن نسمي هذا الخبر ظنياً؛ لأنه يورثنا الظن ولا يورثنا اليقين. ولكن إذا كان الناقلون له مجموعة كبيرة يحيل العقل إن كان اتفاقهم على الكذب عن مجموعة مثلها عن مجموعة مثلها إلى المصدر فهذا هو الخبر الذي يسمى متواتراً والعقل يمتصه ويقبله ولا يمكن إلا أن يعتبر قطعي الدلالة وقطعي الثبوت ومن هنا فإن العقائد الإسلامية لا يجب علينا أن نبنيها على الأخبار الظنية لأن السند العلمي فيها ضعيف وإنما يجب علينا أن نبني عقائدنا على الأخبار القاطعة أي المتواترة وهذه الحقيقة أيها الإخوة يعني ليس اصطلاحاً إسلامياً بل هو كالعملة العالمية الرائجة أينما ذهبت ستجد أن الناس يتعاملون مع الأخبار المتواترة ولا يستطيعون أن ينكروها مهما كانت مذاهبهم ومهما كانت نِحلهم لا أريد أن أطيل البحث فيما يتعلق بضوابط السند وإنما أحيلكم إلى علم مستقل بذلك هو علم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل هذا إذا كان الشيء الذي أريد أن أعرفه خبراً ولكن كيف أستطيع أن أسلك طريقاً علمياً إلى معرفة شيء داخلٍ في صنف الدعاوي لا الأخبار قال لي إنسان ما: الأجسام أو الأشياء تتمدد بالحرارة، قال لي إنسان ما: إن زوايا المثلث تساوي قائمتين، قال لي إنسان ما: إن الأرض تدور دورتين متميزتين هذه ليست نقولاً أيها الإخوة، هذه دعاوى علمية فكيف أستطيع أن أعلم أن هذا الكلام صحيح أو غير صحيح؟ الجواب: ننظر إلى الدعوة العلمية إذا كانت مما يخضع للتجربة والمشاهدة فالدليل إلى ذلك دليل واحد لا ثاني له هو التجربة والمشاهدة وهكذا علمنا القرآن وعلى هذا ربانا الإسلام، فالإنسان الذي قال لي الأجسام تتمدد بالحرارة لا آخذ دليل صدقه أو دليل كذبه

من قرآن ولا من سنة وإنما آتي بهذه الأجسام وأعرضها للحرارة وأنظر فإن كان الأمر كذلك فالخبر صحيح فالدعوة صحيحة وإلا فالدعوة غير صحيحة أنظر إلى زوايا المثلث وأجمع درجات كل زاوية وأنظر هل تساوي زاويتين قائمتين يعني نصف دائرة فإن وجدت الأمر كذلك فإذن الخبر صحيح، وهكذا فكل دعوة علمية تتعلق بمسألة مادية تخضع للتجربة والمشاهدة فنحن باسم الإسلام نقول:منهجنا إلى يقين علمي فيها هو التجربة والمشاهدة لكن لو أن هذه الدعوة كانت متعلقة بأمر غيبي غير خاضع للتجربة والمشاهدة فكيف أستطيع أن أعلم أن هذا الخبر صحيح أم غير صحيح ؟هنا أمامنا أحد طريقين، الطريق الأول: أن يأتيني خبر متواتر منضبط بقانون الإسناد إلى المصدر الموثوق به ثقة علمية وقد أخبر ذلك المصدر بهذا الخبر الغيبي عندئذ أصدق مثلاً لو أن شركة أنتجت جهازاً معيناً وأرسلت هذا الجهاز توزعه في الأقطار ولأول مرة يدخل الجهاز بيوت الناس ويتعرفون عليه الحقيقة كيفية التعامل مع هذا الجهاز أمر غيبي لأننا لا نعلمه بعد ما السبيل إلى أن نعلم كيفية صيانته كيفية استعماله الأهداف التي صيغ هذا الجهاز من أجله أن أعود إلى ما يسمى (بالكتالوك) أن أعود إلى هذا الكتيب الذي صدر من الشركة نفسها فأقرأه وأؤمن بما يقوله هذا الكتالوك وأطبقه على الجهاز وهكذا فكل خبر غيبي كل دعوة علمية تتعلق بأمر غيبي ليس بيننا وبينه جسراً من التجربة والمشاهدة إن استطعنا أن نعثر على رواية متواترة صحيحة منقولة إلى مصدر موثوق به فإن قبولنا لذلك المصدر خاضع لقانون علمي دقيق وعلى هذا الأساس نحن نصدق كلام الأرصاد الجوية عندما نسمع أن كتلة باردة ستصل إلى هذه المنطقة بعد فترة أو لو أننا سمعنا أن خسوفاً على القمر سيقع بعد شهر وكذا من الأيام الخبر علمي لكن كيف نصدقه لأنه وردنا بشكل متواتر عن طريق وكالات الأنباء كلها ومن المصدر الموثوق المتخصص بهذا الأمر ولذلك فإن أحداً لا ينكر هذا مع العلم بأن هنالك شذوذاً قد يقع فاحتمال التصديق يمكن أن نقول 90 بالمئة إذن كل أمر غيبي أمكن أن نعتمد على أن نعتمد على خبر متواترٍ يصل إلى مصدر موثوق به ثقة علمية متعلق بهذا الخبر الغيبي فإنه يعد جسراً علمياً نعتمد عليه ولكن في بعض الأحيان قد لا يتوافر هذا الخبر أيضاً ومن ثم لا يتوافر بيننا وبينه سند، فماذا نصنع حتى نعلم الحقيقة العلمية؟ انظروا ماذا نصنع حتى نعلم أن هذا الكلام علمي أم لا، هنالك منهج آخر يسمى بقانون التلازم يعني إنسان جاءنا بكلام غيبي لا يمكن أن نخضعه لا للتجربة ولا للمشاهدة وليس هنالك خبر متواتر يغطي حاجتنا العلمية هنالك قانون اسمه قانون التلازم يوضح ما إذا كان هذه الدعوة العلمية الغيبية صحيحة أم باطلة ما معنى قانون

التلازم؟ أنظر إلى هذه الدعوة الغيبية التي قيلت أفترض صحتها إذا افترضت صحتها أبحث عن ما قد يكون لها من آثار ونتائج مع الزمن وأنظر فإن وجدت هذه الآثار ماثلة متحققة إذن هذه الدعوة الغيبية صحيحة إن وجدت هذه الآثار التي لا بد أن توجد إذا افترضنا الدعوة صحيحة مفقودة أو الموجود نقيضها إذن فالدعوة العلمية باطلة هذا ما يسمى بقانون التلازم وله شرح طويل ولكنا نختصره في هذا المقام وعلى سبيل المثال لو أن إنساناً قال لنا إن الإنسان القديم منذ القرون المتطاولة البعيدة ما كان يعقل وما كان ينطق ثم إن حاجته إلى الطعام والشراب ألجأته إلى إقامة مجتمع والمجتمع فتّق في رأسه الوعي وجعله قادراً على النطق هذه الدعوة غيبية لأنها تتعلق بقرون بعيدة خَلَتْ ومضت كيف أعلم صحة هذه الدعوة وأنا أفترض أنه لا يوجد أمامي خبر متواتر بيت في الأمر إذن أنظر إلى هذه الدعوة ما هي مستلزماتها وما هي آثارها لو فرضت أنها صحيحة أجد أن من آثار هذه الدعوة لو فرضنا صحتها أن تكون الحيوانات أيضاً تعقل اليوم وتتكلم لماذا الآن هذه الحيوانات هي الأخرى كانت تشعر بالحاجة إلى الطعام والشراب كما كان يشعر الإنسان فإذا كان الشعور بالحاجة إلى الطعام والشراب سبباً لوعي العقل فينبغي أن يكون شعور الحيوانات بالحاجة إلى الطعام والشراب سبباً لوعيها أيضاً وأنظر إلى الواقع فلا أجد هذا الأثر ماثلاً أمامي لا أجد أن الحيوانات تعقل وأنها تنطق كما ينطق الإنسان إذن عرفت يقيناً أن هذه الدعوة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لجرت معها آثاراً من المستلزمات وأنظر فلا أجد شيئاً من هذه المستلزمات ماثلة إذن هذه الدعوة باطلة.

وهكذا أيها الإخوة والأخوات علمنا الآن أننا عندما نتكلم باسم العلم عن الدليل على وجود الله وعلى نبوة الأنبياء وما يلي ذلك لا نسير في طريقة غوغائية أو عشوائية وإنما نلتزم بميزان هذا الميزان هو المنهج وإنني كنت أتمنى لو أن الغرب الذي ينعت في كثير من الأحيان وفي كثير من المناسبات بالموضوعية وبالمنهجية أتمنى لو أن الغربيين وهم يسيرون إلى تصور الأمور العلمية عبر منهج علمي تمنيت لو أنهم تمسكوا بمنهج كهذا المنهج بصدد فهمهم للأديان كما تمسك المسلمون بهذا المنهج العلمي بصدد فهمهم للإسلام والآن أعتقد أننا قد أنهينا التمهيد الذي ينبغي أن ننطلق منه وباختصار شديد لأن الوقت لا يسمح لنا بتفصيل أكثر سنأخذ هذا المنهج في رحلتنا هذا الميزان الذي اهتدينا به ميزان المعرفة سيكون رفيقنا في رحلتنا في معرفة الدليل على صحة الإسلام والدليل على وجود الله وما يتبع ذلك من حقائق المعتقدات وقد قلت لكم إن الإسلام هو عبارة عن كيف تتعامل أيها الإنسان مع نفسك وبني جنسك ومع الكون والحياة إذا كان الإسلام هذا منطلقه إذن

فلا بد أن نبدأ قبل كل شيء بالتعرف على الكون ما هو هذا الكون هل هو أمر تكامل بذاته أم إنه صنع بيد صانع وما الدليل أنه صنع بيد صانع وما الدليل أنه وجد وجوداً ذاتياً هذه أول نقطة ينبغي أن نقف عندها لنمحص أمامها الفكر والنظر أي نضع في الميزان مسألة وجود الله لأنها مفتاح معرفة الكون هل الله موجود وما الدليل على ذلك إن قلنا أنه موجود؟ أيها الإخوة والأخوات أنا أفترض الآن وعلى سبيل الاحتياط العلمي أفترض العكس أفترض السلب لندرسه أولاً أي أفترض أن الله غير موجود وأن هذه المكونات وجدت بطريقة ما دون موجد أضع هذه الفرضية وأسير مع المنهج الذي عرفناه الآن قلت إذا طرحنا دعوة غيبية ليست خاضعة لإمكان التجربة والمشاهدة ولا نريد أن نعتمد فيها على خبر ونقل ليس أمامنا إلا اللجوء إلى قانون التلازم قانون التلازم فلنطبق قانون التلازم هذا على فرضية أن الله غير موجود نحن إذن نفترض أن الخالق غير موجود ماذا يترتب على هذا الافتراض؟ يترتب على هذا الافتراض أحد أمور ثلاثة يترتب عليه القول برجحان الشيء بدون مرجح إذا انطلقنا من فرضية أن العَالمَ له أول أي كان معدوماً ثم وجد وهذا رأي كثير من العلماء وتستلزم هذه الفرضية القول بتسلسل العلل الغير الذاتية إلى ما لا نهاية إن قلنا أن العالم قديم لا أول له فلنفرض أولاً ما يراه كثير من العلماء اليوم ما عدا العلماء الماركسيين أن هذا الكون مهما تقادم عمره له أول أي جاءت فترة على الكون لم يكن هنالك شيء موجوداً إذا انطلقنا من هذه الفرضية واتبعنا هذه النظرية وقلنا الله غير موجود فإن هذه الفرضية تستدعي القول برجحان الشيء بدون مرجح، وهذا القول باطل ومستحيل، أي الفرضية مستحيلة إذن ما استلزمه أيضاً مستحيل وكأنكم تقولون ما معنى رجحان الشيء بدون مرجح هذا شيء مستحيل نتخيله ولكن العقل يفرض ويعلم ويتيقن استحالته رجحان الشيء بدون مرجح أي مثلاً أن أمسك ميزاناً من الحلق حلقه الأوسط وتكون الكفتان متعادلتين أي بثقل واحد ثم أفترض أن إحدى الكفتين هبطت والأخرى طاشت هكذا بدون ثقل وقع في إحداهما العقول كلها تعلم أن هذا افتراض باطل لا يمكن لإحدى الكفتين أن تهبط إلا إذا جاءها عامل ثقل طيب لو فرضنا تصورنا شيئاً آخر كنت قد وضعت في هذه الكفة ثقلاً يساوي كذا كيلو والكفة الأخرى فارغة بطبيعة الحال الكفة الثقيلة ملتصقة بالأرض والكفة الخفيفة طائشة إلى الأعلى فما رأيكم؟ لو أن قائلاً قال: يا أخي كنت أنظر إلى الكفة الثقيلة الملتصقة بالأرض وإذا بها هكذا ترتفع إلى الأعلى وتهبط الكفة الخفيفة إلى الأدنى بدون أي عامل خارجي هل يمكن لأحدنا أن يصدق هذا الكلام مستحيل لماذا لأننا نقول رجحان الشيء على غيره بدون مرجح باطل العبارة

قد تكون المصطلح حديث على الذهن لكن معناه كل إنسان يعرفه الماء الذي ينهمر من الأعلى إلى الأدنى هكذا إلى الأدنى لو أنك قلت بينما كان الماء ينهمر إلى الأدنى إذا به فجأة غيّر طريقه وأخذ يصعد إلى الأعلى لا يمكن لعاقل أن يصدقه مهما كان دينه ومهما كان مذهبه لا يصدق لأن هذا رجحان شيء على غيره بدون مرجح، إذن عرفنا معنى رجحان الشيء على غير بدون مرجح وعرفنا أنه باطل يعني مستحيل علمياً، والآن نأتي إلى فرضية أن الله غير موجود وأن هذا الكون كان معدوماً كما يقول كثير من العلماء اليوم في عصر من العصور ثم بدأ يوجد شيئاً فشيئاً إذن ها هنا كفتان كفة العدم التي كانت سابقة منذ قرون طويلة الله أعلم بها بما كانت مليون قرن أو أكثر أو أقل كفة العدم ثم بعد ذلك تأتي حالة الوجود أو كفة الوجود ها هنا يأتي من يقول لي بينما كان العدم هو المسيطر وهو الذي يفرض سلطانه ولا توجد نأمة ولا توجد ذرة إذا بهذا العدم يتحول إلى وجود من أيها الإخوة يملك ذرة من عقل ويصدق هذا الكلام كل إنسان يقول كان العدم يفرض نفسه فما الذي طغى على العدم وجعله يُطرد ليحتل الوجود مكانه فإن قلت لأحد فهذا هو الرجحان بدون مرجح وهذا هو الباطل الذي لا يمكن أن يتعامل معه أحد كيف تقول إن كفة العدم كانت راجحة ثم إن هذه الكفة تحولت فأصبحت ضعيفة ومرجوحة بدون أي سلطان خارجي إذن فرضية أن العالم حديث وليس قديماً مع فرضية أن الله غير موجود فرضية باطلة في ميزان العلم لا يمكن أن يقبلها عقل إطلاقاً هذه نتجاوزها فإن قال قائل أنا أفرض أن العالم قديم لا أول له وأن سلسلة المخلوقات ما تزال تتوالد بعضاً من بعض من بعض بدون بداية وإلى غير نهاية فماذا يمكن أن أصنع بهذه الدعوة وهل يمكن أن أنقضها بدليل علمي يقول لي هذا القائل: العالم قديم وسلسلة العلل الكونية متوالدة بعضها عن بعض ومن ثم فلسنا بحاجة أن نفترض أن هنالك خالقاً قد خلق الكون هذه الدعوة أيها الإخوة تستلزم انظروا نحن نطبق قانون التلازم تستلزم القول بتسلسل العلل الغير الذاتية إلى مالا نهاية وماذا يقول العلم عن تسلسل العلل الغير ذاتية إلى مالا نهاية يقول العلم على لسان ماركسيين وعلى لسان وجوديين وعلى لسان المؤمنين يقول هذا التسلسل باطل ومن المستحيلات المعروفة إذن الفرضية التي استلزمت هذا التسلسل أيضاً باطلة ولكن لا بد أن نشرح هذا الكلام ما معنى تسلسل العلل الغير الذاتية عندما نقول العالم قديم معنى ذلك أن هذه الطبيعة توالد بعضها عن بعض لأنها تتطور طبعاً وكل شيء يتطور ومعنى التطور أن هذه الطبيعة وهذه المواد تفرز حالات جديدة لأنفسها وتتخلى عنها ثم الحالة الجديدة تفرز وضعاً جديداً وتتخلى عنه وهكذا كما يقول الديالكتيكيون يعني أن المادة

تتمخض عن نقيض لها ثم إن النقيض بعد حين يتمخض عن نقيض له ثم إن هذا النقيض أيضاً يتمخض وهكذا بسلسلة متصلة إلى مالا نهاية معنى هذا أن العالم كله عبارة عن مجموعة علل العلة الواحد متأثرة بما قبلها ومؤثرة فيما بعدها هذا معنى التسلسل تسلسل العلل الغير الذاتية إلى مالا نهاية طيب هذا ممكن عقلاً علماء الهندسة يقولون هذا مستحيل علماء الفلسفة يقولون هذا مستحيل علماء الرياضيات يقولون هذا مستحيل تسلسل العلل الغير الذاتية العلة التي تأخذ قوتها من علة أسبق منها إذا كانت العلل هكذا لا بد أن تعتمد على مصدر لا بد أن تنطلق من نقطة أولى الرياضيون قرروا هذا قرروا هذا عندما جاؤوا بمثال بسيط جداً جداً لو أن هنا لوحاً ووضعت على يمين اللوح رقم زيرو صفر،وقلت لكم: إن هذا الصفر يساوي مليون لقال لي كل منكم من أين أخذ الصفر هذه القيمة الصفر في القانون الرياضي رقم لا يحمل أي قيمة ذاتية وإنما يأخذ قيمته من العدد الذي إلى جانبه فلو أن قائلاً قال لي: هذا الصفر ليست له قيمة ذاتية من أين أخذ قيمة المليون افرضوا أنني وضعت عن يساره صفراً آخر قلت استعار من هذا الصفر سيقول لي والصفر الثاني من أين أخذ قيمته أضع صفر ثالث سيأتي السؤال نفسه لأنه صفر وأضع صفراً رابعاً وخامساً وافرضوا أنني ملأت اللوح بل ملأت الكون أصفاراً متتالية هل يمكن لهذا الإشكال أن يحل سيظل السائل يقول كل هذه الأصفار لا تحمل قيمة ذاتية وهي فقيرة إذن أنا لا أصدق أن هذه الأصفار تساوي المليون ولا أصدق أنها تساوي الواحد حتى ولا النصف لماذا لأن تسلسل العلل الغير الذاتية إلى مالا نهاية مستحيل والصفر علة غير ذاتية يأخذ قيمته من جاره وجاره صفر كذلك هذا كلام الرياضيين فالتسلسل بالمعنى الذي نقول باطل عندهم في مصطلح المهندسين عندما نريد أن نبني بناء لا بد أن نحضر الأسس ولا بد أن نمضي في الحفر ونمضي في الحفر حتى تظهر لنا القطعة التي تسمى بالكتلة الذاتية هذا اصطلاح هندسي بمعنى الكتلة الذاتية أي الكتلة التي تحمل نفسها بنفسها والتي لا تعتمد على كتلة تحتها عندئذ يبنى البناء عليه تبنى الأطباق المختلفة كلها ويطمئن الإنسان إن سكن لكن لو أن إنساناً رأى ناطحة من ناطحات السحاب وأراد أن ينزل في أعلى دور وسأل هذا الدور علام يعتمد قيل له على الدور الذي تحته لا بد أن يسأل طيب والدور الذي تحته يقول على الدور الذي يليه لا ينتهي الإشكال طيب والدور الذي يليه لو فرضنا كانت الأدوار بالمئات أو بالآلاف لا يطمئن هذا الإنسان أن يرقد أو أن يجلس ساعة في هذه الأدوار حتى يطمئن إلى أن هذا البناء يعتمد على ما يسميه المهندسون الكتلة الذاتية أي الكتلة التي تحمل نفسها بنفسها لماذا لأن تسلسل العلل الغير

الذاتية إلى مالا نهاية باطل إذن نحن نطبق هذا الكلام على مسألتنا الله غير موجود هذه هي الفرضية التي نناقشها طيب وهذه المكونات قديمة هكذا يقول الماركسيون مكونات قديمة لأن الديالكتيك لا أول له يعني جدلية التفاعل بين العلة والمعلول لا أول لها نقول كل دفعة من دفعات الطبيعة فقيرة وأخذت قوتها من الدفع السابق والدفع السابق أيضاً فقير أخذ قوته مما قبله والطبيعة واحدة كلها في غاية الفقر كالأصفار فإذا قلت العالم لا أول له فكأنني أقول العالم مجموعة أصفار وهذه الأصفار تساوي مليون دون أن يكون هنالك رقم ذاتي كالواحد مثلاً هذا قطعاً مستحيل ونحن لا نأتي بالاستحالة من منظور ديني وإنما من منظور علمي وأذكر أنني قرأت كلاماً لانجلنز في كتابه أنتي دوهرنغ كتابه هذا مخاصمة مع إنسان ماركسي آخر اسمه دوهرنغ كان دوهرنغ هذا يرى أن يقول أن هنالك مشكلة عندما نقول العالم قديم كان يقول إنني لا أستطيع أن أقول أن العالم قديم لأن التسلسل باطل فالعالم حادث ويجيب انجلنز يناقشه في أحد فصول كتابه هذا أنتي دوهرنغ يقول: ويحك إذا قلت أن العالم حادث فلا بد أن تعطي الإيمانيين حجة بوجود الله لأن هذا الكون عندما وجد فلا بد أن تضعهم أمام إصبع الله موضوعة على الزناد يعني ما انفجر هذا الكون بعد العدم إلا من وجد كما قلنا قبل قليل رجحان الشيء بدون مرجح باطل فلماذا تعطي الإيمانيين حجة بقولك أن العالم له أول بل قل العالم قديم لا أول له ولكن دوهرنغ ناقشه قائلاً: طيب إذا قلنا العالم لا أول له سنقع في المطب ذاته لأننا إذا قلنا العالم قديم لا أول له فإننا نقع في مشكلة أن الكون مكون من مجموعة علل كل علة منها بحد ذاتها فقيرة فما المخلص هذا الكلام يمكن أن يجده أي أخ في كتاب أنتي دوهرنغ خصومة بين دوهرنغ وبين انجلنز ونحن لا مصلحة لنا أن ننحاز إلى طرف ضد طرف وإنما نستمسك بحبل العلم ولاشيء غير العلم لو أن العلم دعانا إلى الإلحاد لألحدنا ولكن عندما يدعونا العلم إلى الإيمان لا بد أن نؤمن لأننا لا نصدق أحداً غير العلم فإذا قلنا العالم قديم فعلاً كما يقول دوهرنغ العالم قديم لا أول له هذا العالم مجموعة علل كل علة منها كالصفر لا يمكن أن يُوجِدَ شيئاً ولا يمكن أن يُوجَدَ إذن لا بد وأنا أرى هذه المكونات أمامي لا بد من ما يسميه المهندسون من كتلة ذاتية أي من كائن وجوده نابع من ذاته وليس فيضاً من غيره ومنه انبثق هذا الوجود وما دمت أرى هذه المكونات أمامي لا أستطيع أن أرفضها وأن أتصور أنها معدومة إذن لا بد أن هذه الموجودات تعتمد على شيء وجوده نابع من ذاته وليس فيضاً من غيره وإلا لمضت السلسلة إلى مالا نهاية وهذا الكلام هو الجواب عن من قد يقول طيب والله من خلقه سنتكلم بعد عدة دروس في هذا الموضوع

لو قلت والله أيضاً من خلقه؟ فمعنى ذلك أنني أسلم لفرضية التسلسل اللانهائي وبما أن هذه الأشياء موجودة أما في السموات والأرض بما أن التسلسل باطل الكون ليس بمعلوم والتسلل باطل إذن حتماً هذه الموجودات نبعت من أصل وانطلقت من ينبوع هذا الينبوع هو وجود الله عز وجل إذن عرفنا أن الذي يقول العالم حادث لا يملك أن يقول الله معدوم لأنه يقع في مطب رجحان الشيء بدون مرجح. وهو مستحيل ومن قال العالم قديم ففرضيته باطلة لأن هذا العالم عبارة عن مجموعة علل كل علة منها كالصفر فقير يحد ذاته وتسلسل العلل غير ذاتية إلى مالا نهاية باطل إذن ماذا بقي أن هنالك فرضية أخرى كثير من العلماء التقنين والعلماء الطبيعيين الملحدين وهم يتناقصون بحمد الله الآن يقولون نعم العالم حادث لكنه وجد عن طريق التفاعل الذاتي أول ما وجد السديم مثلاً إذا أخذنا بالنظرية السديمية أول ما وجد شيء من الغاز غاز السديم ثم إن هذا الغاز تفاعل مع نفسه وتفاعل وتفاعل فتكاثر ثم تطور ثم تطور ثم أصبح هذه المكونات إذن العالم حادث ووجد عن طريق التفاعل الذاتي فلا داعي إلى فرض وجود خالق هل هذه الفرضية صحيحة أيها الإخوة ما معنى التفاعل الذاتي هنالك تفاعل ذاتي مقبول علمياً عند علماء الكيمياء عند الذين يمارسون العمل الكيميائي تفاعل ذاتي اصطلاح علمي سليم عندهم ماذا يعني يعني أن نأتي بثلاث مواد أو أربع مواد لكل منها خاصة معينة ونمزجها بعضاً مع بعض فتؤثر كل مادة بخاصيتها على المادة الأخرى تتبادل هذه المواد التأثير هذا يسمى تفاعل ذاتي لأنها تكون تركيبة واحدة هذه التركيبة الواحدة يشيع فيما بينها وبين شواردها التفاعل ومن ثم يسمى التفاعل الذاتي وفيما يتعلق بالأمر الميكانيكي هذا معروف جداً يعني نحن نجمع بين آلتين اثنتين بشكل متراكب نؤلف بينهما فنجد أن تفاعلاً تم بين هذه الآلة وبين تلك هذه تعطيها فاعلية وذاك تعطي الأخرى فاعلية وبذلك يتم القيام بعمل معين مرصود هذا التعبير عن التفاعل الذاتي السليم صحيح لأن هنالك شوارد متعددة وضعناها في هذا الماء فشاع بينها التأثير كلام سليم وعلمي لكن موضوعنا هنا لا ينطبق على ما يسمى بالتفاعل الذاتي كان العالم معدوماً ولنفرض أول ما وجد غاز السديم هذا الغاز طيب الغاز البسيط جداً في أولى ظهوره من الذي أوجده وكيف يمكن أن نتصور التفاعل الذاتي فيه هنا التفاعل الذاتي بين جزأين بين جزأين اثنين أو ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء لكن الغاز كان معدوم ولا بد لكي يوجد من طاقة خارجية توجده المعلول غير العلة فمن الذي أوجد الغاز التفاعل الذاتي هذا خداع هذا تعبير مخادع معنى التفاعل الذاتي هنا في هذا الموضوع يترجم بأن غاز السديم أو أقل جزئياته الأولى هي التي أوجدت ذاتها هي

التي أوجدت ذاتها وهذا يعني أن هذا الشيء الأول لعب دور العلة والمعلول بآن واحد وهذا باطل وهو يسمى بالدور في مصطلح الفلاسفة والمناطقة الدور أي توقف الشيء على ذاته نعم كأن أقول أنا أنا أوجدت نفسي أنا خلقت نفسي فأنا علة ومعلول بآن واحد هذا الكلام باطل ولا داعي إلى أن نطيل الشرح في دلائل بطلانه وهكذا إذن قولنا تفاعل ذاتي هذا الكلام المستعار من مخابر الكيميائيين إلى مسألة انبثاق الوجود من العدم كلام مخادع ولا يتماسك عليه أي دليل علمي بشكل من الأشكال وعلى هذا أيها الإخوة فقد انتهينا إلى أن فرضية وجود الكون بدون مكون فرضية باطلة لا تتفق مع العلم قطعاً واحداً سواء قلنا العالم قديم أو قلنا إن العالم حديث بقي دليل آخر وهو الدليل الذي يتعامل معه القرآن كثيراً وهو دليل ممكن أن يسري إلى عقول فئات الناس جميعاً على اختلاف مستوياتهم وثقافاتهم وهو ما يسمى بدليل الحكمة أو بدليل العلة الغائية ظاهرة الحكمة في الأشياء القرآن برهن على وجود الله عن طريق بطلان الرجحان بدون مرجح برهن على ذلك عن طريق بطلان الدور عندما قال (أم خُلِقُوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون) (أم خَلَقُوا السموات والأرض بل لا يوقنون) هذا الكلام إشارة إلى أنه هل يقولون برجحان الشيء بدون مرجح وهو باطل أم هل يقولون بالدور وهو باطل أيضاً أم هل يقولون بالتسلسل وهو باطل أيضاً ولكن القرآن يركز كثيراً على ما يسميه العلماء بدليل العلة الغائية أو بدليل الحكمة والعناية في الأشياء ما هو دليل العلة الغائية أيها الإخوة أصلاً ما العلة الغائية العلة الغائية هي القصد الذي يدفعك إلى سلوك القصد الذي يدفعك إلى سلوك فأنا أريد أن أسقي أرضي ماء هذا القصد يحملني على أن أحفر بئراً العلة الغائية لحفر البئر الماء إذن العلة الغائية القصد وهي توجد أولاً ومعلولها يوجد ثانياً وهو حفر البئر أنا أريد أن أصبح طبيباً هذا القصد علة غائية في ذهني تدفعني هذه العلة إلى أن أدخل كلية الطب وأدرس الطب أنا أريد أن أكون تاجراً غنياً يدفعني هذا القصد إلى ممارسة التجارة القصد الذي يدفعني اسمه علة غائية هذا القصد يكون موجوداً في ذهني أولاً فإذا مارست العمل يتحول هذا القصد من الوجود الذهني إلى الوجود الخارجي فبعد دراسة الطب أصبح فعلاً طبيباً بعد التعب في الأسواق أصبح فعلاً تاجراً إذن العلة الغائية قصد يوجد في الذهن أولاً يدفع صاحبه إلى سلوك هذا السلوك يثمر العلة الغائية التي كانت في الذهن نحن عادة نستدل بالأشياء المادية أو نستدل على ما وراءها من قصود بظواهر العلة الغائية فيها فأنا مثلاً عندما أذهب إلى مصر وأنظر إلى الأهرامات أنظر إلى تمثال أبي الهول انظر إلى التماثيل المنحوتة أدخل المتحف الفرعوني أجد الآثار أنظر فأجد حجارة لكن عقلي

ينصرف إلى تصور حضارة طيب من أين عرفت أن هنالك حضارة وأنا أجد حجارة جاثمة هامدة أنا أرى آثار علل غائية أرى آثاراً تبدو عليها بصمات علل غائية والعلة الغائية لا تولد إلا في الفكر فأنا أعلم أن هذه المنطقة ولدت فيها حضارة باسقة كان أربابها علماء وكانوا أصحاب ثقافات وفكر عندما يذهب عدد من الرحالة والسواح إلى أماكن سياحية مثل آثار تدمر عندنا في دمشق أو كثير من الآثار في المغرب ينظرون إلى العمدان القائمة وينظرون إلى الزخارف ويتأملونها ثم يستنبطون منها صورة الحضارة التي كانت قبل بضعة قرون لو قلنا لهم ما الجسر الذي بواسطته وصلتمم إلى تصور تلك الحضارة يقول لأن هذا العمل عمل هادف هذا البنيان يدل على قشور دقيقة ويدل على أن هذه الأمة كانت بازخة وأنها كانت تهدف إلى كثير من المتعة أراها أرى ذلك طيب أنت لا ترى هؤلاء الناس ماتوا لكنه يرى ظاهرة العلة الغائية فيستدل ببضعة عمدان على حضارة باسقة يستدل بوجود آثار الفرعونيين على وجود حضارة فرعونية هذا شأن الإنسان كيف يهتدي بظاهرة العلة الغائية الباقية على الأشياء على وجود صانع لها هذا الكرسي عبارة عن شيء مادي ميت لكن أنا أنظر إليه إلى صنعته رأساً عقلي ينصرف إلى الصانع لأنني أجد هذه الصنعة ثمرة لفكر ثمرة لقصد فأعلم أن هذا العمل ما ولد إلا في قصد والقصد لا بد له من قاصد ومن هنا أؤمن بوجود صانع للكرسي الدار التي أدخل إليها وسط حديقة غناء أنظر فأجد كل شيء مهيأ لراحة الإنسان الصالونات غرف النوم غرف الطعام المرافق فأقول هذا الإنسان الذي بنى هذه الدار إنسان واعي ودقيق وأنا ما رأيته ما هو دليلي العلة الغائية والآن نترك هذه الأمثلة الجزئية ننظر إلى الكون كله أيها السادة هذا الكون هل نجد فيه بصمات القصد ؟هل نجد فيه دلائل العلة الغائية أم لا؟ نجد أنا عندما أجد حركة الأرض حول نفسها وحركة الأرض أيضاً حول الشمس حركة أخرى وأنظر إلى هاتين الحركتين النوعيتين كيف ينبثق منهما انقسام الزمن إلى السنوات وانقسام السنة إلى أشهر وانقسام الشهر إلى أيام ولياليي وكل ذلك لهدف يتعلق بمصلحة الإنسان الذي يعيش فوق هذه الأرض عندما أنظر فأجد أن حركة الشمس تجعل من النهار قصيراً في الشتاء وطويلاً في الصّيف وتجعل من الليل ما يعاكس ذلك وأنظر فأجد هذا في مصلحة الإنسان لو كان نهار الصيف قصيراً وليله طويلا لما أكل الناس في الصيف فاكهة ناضجة قط لأن الشمس لا تستطيع أن تعطي هذه الثمار الحاجة الكافية من الحرارة ولو كان نهار الشتاء طويلاً وليله قصيراً لوقع الناس في حرج وأي حرج الآن الشتاء الطويل أكثر ما ينزل من الثلوج والأمطار في جنح الظلام ينزل فإذا جاء النهار تبخر قدر كبير من السحاب

بسبب حرارة الشمس وخرج الناس لأعمالهم فكانت الحكمة تقتضي أن يكون نهار الشتاء قصيراً ونهار الصيف طويلاً بعكس الليل عندما أجد هذه الظاهرة وكله ضمن ميزان لمصلحة الإنسان عندما أنظر فأجد جاذبية الأرض مرتبطة بوزنها لو كانت الأرض لها وزناً أكثر مما لها الآن لالتصق الإنسان بالأرض يعني لكانت الجاذبية أكثر وجرّ الإنسان نفسه جراً على الأرض ولو كان وزن الأرض أقل لما استطاع الإنسان أن ينجذب إلى الأرض بالشكل المتناسب لقفز قفزاً فوقها ولكن جاء وزن الأرض بما يتناسب وحاجة الإنسان الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض هذا المملوء بغاز الأكسجين والذي هو الشرط الأساسي لحياة الإنسان لولا هذا الغلاف الجوي لأحرقت النيازك الإنسان وسنتبع كلامنا هذا بما يتممه في محاضرة أخرى قريبة والحمد لله رب العالمين.